المحاضرة العاشرة: ملامح نظرية السياق عند علماء العربية

أهداف المحاضرة:

الهدف الخاص:

- أن يتعرف على جهود علماء العربية القدامى في البحث السياقي

الأهداف الإجرائية:

- أن يستنتج خصائص العمل السياقي في جهود النحاة والبلاغيين والمفسرين
- النظرية السياقية عند العرب

تمهيد:

لقد تبوّأ السياق منزلته من الاهتمام والدراسة منذ القدم لدى مختلف الشعوب فالهنود مثلا توصلوا إلى قضايا مهمة لازالت محط اهتمام لحد اليوم في الدرس الدلالي بشكل عام، وهي: أهمية السياق في إيضاح

1. السياق في الثقافة العربية:

شغلت قضية الدلالة حيّزا واسعا من تفكير فلاسفة مثلوا الحضارة اليونانية، وكما فجّروا التساؤل عن ماهية اللّغة والوجود كذلك فعلوا مع الدلالة ونوع العلاقة التي تربط شقيها. وإن كان (أرسطو) قد أرجعها إلى العرف والاصطلاح أين يتطابق اللّفظ بصورة كلية وثابتة مع التصور الذهني، فإنّ تلميذه (أفلاطون) اعتبرها طبيعية ذاتية تعبّر عن تصور خاص في النظر إلى الموجودات[1].

وقد برز الاهتمام بهذا المجال أيضا لدى العرب خصوصا عند النحاة واللّغويين والمعجميين والبلاغيين والأصوليين والنقاد الذين مثّلوا الحضارة العربية أحسن تمثيل، فكان المستوى الدلالي هو "الأسّ في تفكيرهم الحضاري المبني على قاعدة الفهم "[2]، إضافة إلى المستويات الأخرى: الصوتي، الصرفي، النحوي، المعجمي، وراحوا يدرسون قضية اللّفظ والمعنى مختلفين فيها حسب التوجهات، منهم من ردّ الأهمية إلى المعنى على حساب اللّفظ، ومنهم من عكس ذلك، يقول أحد الباحثين: "إنّ انقسام علماء العربية فرقتين في النظر إلى اللّفظ والمعنى من حيث الأهمية لا يعني انفصام الوحدة اللّغوية (اللّفظ/ المعنى)؛ ذلك أنّ كل فرقة تولي الأهمية حسب طبيعة رؤيتها الآنية لهذه القضية"[3]

ومن هذا راح المؤرخون يضبطون تاريخ نشأة الدلالة العربية من القرن الأوّل الهجري لحاجتهم الملحة إلى فهم غريب القرآن لما وجدوا فيه من ألفاظ تستحق السؤال[4]، رغم ذلك، يرى المتتبعون أنّ الإرهاصات الحقيقية للبحث الدلالي العربي "تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية، وهذا التاريخ المبكّر إنّما يعني نضجا أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها"[5].

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة،

[2] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حت نهاية القرن الرابع الهجري، ص4.

[3] المرجع نفسه، ص464.

[4] محمد حمدان حسين، التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2002، ط1، ص371.

[5] فايز الداية، علم الدلالة العربي؛ النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية، نقدية، دار الفكر، دمشق، 1996، ط2، ص8

وهذه الجهود توضح أهمية الدلالة؛ إذ هي التي تحقق المفهمة بين الأفراد أثناء التواصل، وهي التي تصنع معجمها اللّغوي الذي يحفظ كيان الأمة الفكري والحضاري، وهي التي تعبّر عن أسلوب الحياة بشكل عام، ما دفع إلى تأسيس علم يُعنى بمسائلها وقضاياها وكلّ ما يؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي[6] .

لقد استقرأ الباحث "صلاح الدين زرال" الظّاهرة السياقية عند علماء العربية القدامى من أجل رصد كيف طبّقوها في دراساتهم، كاشفا عن الحضور العميق للعمل السياقي في التّراث العربي على اختلاف التوجّهات، عن طريق استجلاء المفاهيم وفق الموظّف في نصوصهم. حيث عمد إلى ذلك بالاستناد إلى المرجع المعرفي والبيئة الفكرية ومنبت الرؤى، وهذا الأمر بلا موارية، يستجلب عقلا منهجيا جريئا يستطيع بالدّراية التراثية المتخصّصة الكشف عن قضية السياق في محضنها الأصلي، لأنّ قراءة التّراث اللغوي العربي من الصعوبة، فهي قراءة تنزل النّص إلى بيئته،كما تعدّ في وجهها الموازي قراءة للحضارة العربية ونظام تفكير العقل العربي، وأسلوب معالجته للقضايا المطروحة أمامه، خصوصا وأنّها حضارة قد شيّدت حضورها من النّص وإليه، بفاتحها نص القرآن الكريم؛ فليس بغني عن البيان، اندهاش العقل العربي بإعجاز النّص القرآني والرّغبة المتّقدة في التقرّب من سر أسراره ، ومقاربة مستوياته وبُناه وأنظمته اللغوية والرمزية والبلاغية، لهذا تمّ وصف الحضارة/ الثقافة العربية بأنها حضارة/ ثقافة نص.

يمكن اعتبار قضية السياق هي نموذج الدراسة الدلالية عند علماء العرب أيضا، حيث بحثوا فيها من جميع المستويات، اللغوية والبلاغية، لأنّ البحث عن الدلالة يفترض تركيبا لفظيا من الصوت إلى الكلمة فما فوقها، وكذلك الحال بالنسبة للفظ الذي يوصل إلى معنى معين، وإلا بقيت الحروف مجرّدة والكلمات بلا توزيع منظم مما يفقدها خصوصية أن تكون دالة، كقولنا (كتب) فترتيب هذا اللفظ المنسجم يقدّم معنى الكتابة، لكن إن حدث خلل في توزيع مركّبات الكلمة أي الحروف، فإنّه يتجرّد من المعنى، كمثل قولنا -في هذا المثال- (بتك)، وهو لفظ مفرغ الدلالة. لذا، ومن المعطى النّحوي، اللفظ المخصّص بالدراسة الدلالية هو اللفظ الدّال، وتعدّ الكلمة أساسه، لأنّ قيمتها تكمن في توحيدها للأصوات المستقلة من جهة، ولتركيبها جملا من جهة أخرى.

وليس بخفي عن البيان، أنّ نص القرآن الكريم قد أحدث زلزلة فكرية للبحث في المختلف الذي قنّنه، فكان اللغة المعجزة التي أدهشت العقول من حين نزوله، حيث اختلف في مكمن إعجازه بين اللفظ والمعنى وهي إشكالية تولّد بموجبها تفرّع منهجي انتهى إلى بحث لغوي وبلاغي ونقدي زاد التفكير الدلالي عند العرب

---

[6] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية)، ص9.

بسطة وعمقا، فبين القوانين اللغوية، وفسحة المبنى وسعة المعنى، والنسيج الموضوعي المتّسق المنسجم وفنية البلاغة، وغيرها، يكون الفكر العربي قد تخصّص في توجهات عدّة، ليقدّم نظام نصّ تراثي حضاري خاص بالظاهرة الدلالية وبالتّفكير الدلالي، يقول الباحث: "وإنّ المتأمّل في التراث العربي إلى نهاية القرن الرّابع الهجري، ليجد أنّ فكرة اللفظ والمعنى قد تمثّلت أساسا في أبحاث النّحاة والبلاغيين والنّقاد أحسن تمثيل، -حتّى وإن كان الأصوليون والمناطقة قد أولوا عناية بها-"[7].

وقد تنبّه علماء العربية القدامى إلى دور السياق في تحديد الدلالة النّصية، وجعلوه في مقام مساوٍ للغة، ذلك أنّه لا يمكن الحصول على دلالة اللفظ دون ربطه ببيئته التي ساهمت في بلورته، والأهمية لم تخص السياق اللغوي الداخلي فقط، بل بحثوا في السياق الخارجي من خلال تفسير الظواهر اللغوية في علاقتها بمحيط متكلّمها، هذا ما أسهم في إنجاح عملية التقعيد اللغوي عند النّحاة، ووضع بصمة التشريف في مجال التفسير والتّأويل، والإحاطة بمقام التّواصل بالنسبة للبلاغيين والنّقاد، معدّدي زوايا النظر إلى نص القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف والشعر والنّثر والكلام المتداول العادي، وهو ما جعل عملهم يندرج ضمن العمل اللغوي الثقافي الذي يربط اللغة بالعالم.

فالثقافة العربية قد قدّمت إرثا عظيما في هذا المجال، وإلقاء نظرات وصفية على التراث اللغوي العربي بوجه عام وعلى الحضور السياقي فيه بوجه خاص تكشف عن ثقافة تزخر بالبحث الدلالي، ونحن إذ نحاول لملمة أبحاثنا حول هذه النّقطة سنقسّمها إلى عمل النّحاة واللغويين والبلاغيين والمفسّرين.

1. السّياق عند النّحاة :

يشير التفكير السياقي في عمل النّحاة إلى ربط عملية التقعيد بالعقلية العربية وبشواهد بواديها الحقّة التي أُخذت عنها؛ فقد كان هذا العمل بين موقفين اثنين: الموقف اللّغوي المتمثّل في تركيب الجمل السليمة نحويا وفق قواعد اللغة العربية وشروطها، وبين موقف سياقي المتمثّل في الخروج إلى أحضان اللغة العربية السليمة التي لم يمتزج أهلها بالعجم ولم يخالط لسان أفرادها اللحن. ولعلّ المعاين لهذه المرحلة المنهجية يلحظ التكامل الدقيق بين الموقفين، فكان دور السياق هنا هو تزويد العلماء باللغة الاجتماعية التي تضمن مطابقة التركيب اللغوي وحالاته الإعرابية لما تداوله العرب الأقحاح من نماذج توسّع المعادلة النّحوية واحتمالاتها.

---

[7] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حت نهاية القرن الرابع الهجري، ص66.

كمثل ما وجد "سيبويه" من ضروب الكلام: "فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمسِ وسآتيك غداً. وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس. وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأمّا المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا. وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس."[8] ، وهذه الحالات التي يعدّدها "سيبويه عن احتمالات الكلام إنّما اشتقها من كلام العرب، وفي هذا ملمح عن دور المتكلّم والسياق الخارجي في تحديد صفات الكلام المقبول نحويا والخارج عنه إلى دائرة المجاز والبلاغة .

فلا أحد ينكر قيمة "الكتاب" في الدرس اللساني العربي، وتلك الظواهر اللغوية التي حلّلها "سيبويه" تعدّ زادا ثقيلا يعود إليه الباحثون لاستقصاء البحث اللغوي والدلالي في بيئته النّحوية، فكان الوصف لقضية اللفظ والمعنى بالنسبة للنّحاة عامة وسيبويه خاصة أشبه بالمنطق الرياضياتي البعيد كلّ البعد عن الفنية والجمالية، لأنّ همّهم هو التقعيد والضبط وفق كلام العرب وما يخرج عن المنصوص عليه يعدّ شاذا لا يقاس عليه بل يمكن دراسته بلاغيا، وهنا نجد أنّ السياق بالنسبة لهم، ما تعلّق بالتركيب اللغوي وسلامة القاعدة النحوية داخليا، وارتباطها بسياقها الخارجي من حيث استمدت الشّواهد؛ حيث كانت العملية لغوية اجتماعية في الأساس

فمن الآليات الاجرائية التي قعّد بها النّحاة العرب اللغة العربية، اتّباع المنهج السياقي في شقيه:

- السياق الداخلي (اللغوي): من أجل الحصول على هندسة ‘نحوية إعرابية سليمة.
- السياق الخارجي (غير اللغوي): من خلال الظروف الخارجية المساهمة في تدقيق العملية، وحصرها ضمن إطار زماني ومكاني وارتباطها بأشخاص وكلامهم بمواصفات ثابتة وهو ما يتعلّق بالمقام.

فإذا أخذنا "السياق" على أنّه: بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه، وعلاقة البناء اللغوي الكلّي بايّ جزء من أجزائه، وهو أيضا مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، نجد أنّ قضية اللفظ والمعنى عندهم قد اكتست طابعا سياقيا، إذ يرتبط

[8] سيبويه، الكتاب، ج1، ص ص 25، 26.

المعن السياقي في هذه الحالة مع مصطلح "المقام" والمعطيات التي يوضحها سياق الحال، من أجل تحليل نحوي علمي وموضوعي دقيق.[9]

بانتقالنا إلى جهود "السيوطي" في إيضاح العلاقة بين وحدة القرآن الكريم وبين السياق المقامي الذي حقّق فيه تلك السّمة، من جمع المكي والمدني، النهاري والليلي، الصيفي والشتائي، الفراشي والنومي، أسباب النزول، أوّل ما نزل وآخره، ما عُرف وقت نزله، ما أُنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء، ما أنزل منه على الأنبياء، ما تكرّر نزوله، ما نزل مفرّقا، ما نزل جمعا، كيفية إنزاله[10]، فهذه المنهجية المعتدة في إيضاح جوانب الإتقان لم تبعد الظروف الخارجية المحيطة بحدث التركيب القرآني، بل على العكس كانت في عمق العملية.، وهو يشير إلى أنّه "في البرهان: معرفة المناسبات"[11]، وهو عمل ثلاثي الأبعاد يبحث في كيفية النزول، المنسبة، سبب النزول.

إذ نجد (الخليل بن أحمد الفراهيدي ت: 175ه) ممثّلا المستوى الصوتي وكيف تبعه المهتمون بهذا الجانب في رسم الجهاز الصوتي وتحديد مخارجها وصفاتها، كما نلمح كيف اهتم بحصر ألفاظ اللغة والبحث عن دلالاتها، بإخضاعها إلى التقليبات الممكنة لإيجاد المستعمل منها والمهمل، فبزيادة حرف يتغيّر المعنى، وبإخضاع اللفظة إلى تلك التقليبات تزداد كثافتها الدلالية أكثر، وهذه الوحدات الصغرى تبني اللغة وتساعد على فهم أبعادها الثقافية والاجتماعية،

وقد تحدّث الباحث "صائل رشدي شديد" عن القيمة الدلالية التي تحققها التشكيلات الصوتية المتعددة "فائتلاف الأصوات بالطّرق المختلفة والممكنة ضمن نظام صوتي ما وتبعا لقواعد كلّ لغة، يمثّل دلالة قوية على أنّ مثل هذا الائتلاف الصوتي، يحمل دلالة معينة"[12].

كما يقول "الزّركشي ت794ه" عن الزّيادة في بنية الكلمة: واعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقل إلى وزن آخر أعلى منه فلابد أن يتمن من المعنى أكثر مما تضمّنه أوّلا، لأنّ الألفاظ ادلة على المعاني، فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة"[13] وهنا ملمح واضح على مركزية السياق في الدراسات اللغوية العربية.

إضافة على ما سبق، كانت الرؤية البلاغية "لكلّ مقام مقال" واضحة ومباشرة في ارتباط الكلام بالملاءمة المقامية، وبين الحقيقة والمجاز في تبيّن الظواهر اللغوية كان مدار الأمر بالنسبة للجاحظ قائما على "البيان

---

[9] صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حت نهاية القرن الرابع الهجري، ص381.

[10] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص18

[11] 21 المرجع نفسه، ص

[12]، 2004، ط1، ص50 صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربي دراسة لسانية

[13] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة،2006عالم المعرفة، ص642.

والتبيّن، وعلى الإفهام والفهم. وكلّما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنّه كلّما كان القلب أشد استبانة كان أحمد، والمُفهم لك والمُتفهّم عند شريكان في الفضل، إلا أنّ المفهم أفضل من المتفهّم وكذلك المعلم والتعلّم"[14]، إنّ اللافت في هذا الرأي هو الحلقة التواصلية التي تجمع الأطراف المتشاركة في ثنائية الإفهام والفهم.

لقد أشار "الجرجاني" إلى دور السّياق في إبراز الدّلالة، من خلال التّرتيب الذي تأخذ فيه العلامة اللّغوية قيمتها، لتبيّن المعنى المقصود -على مثل ما وضّح (سوسير)- إذ لا قيمة لعلامة لغوية في ذاتها إنّما قيمتها تُستمد من محيطها؛ أي بما يخالفها ويُجاورها من علامات أخرى، وهذا رأي الجرجاني الذي أخذ فيه شوطاً لإثباته والتّدليل عليه بالأقاويل والأمثلة الكثيرة، وعلى سبيل ما قاله: "وأمّا نظم الكلِم... فهو إذن نظمٌ يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو (النظم) الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتّفق. ولذلك كان عندهم نظيرا للنّسج والتأليف والصّياغة والبناء والوَشْي والتحبير وما أشبه ذلك، ممّا يوجب اعتبارَ الأجزاء بعضِها مع بعض، حتى يكون لوضعِ كلّ حيث وُضع، علّةٌ تقتضي كونَه هناك، وحتى لو وُضع في مكانٍ غيرِه لم يصلُح"[15]، وهو إثباتٌ كذلك لاعتباطية الدّليل اللّغوي أو العلاقة بين اللّفظ ومعناه، إذ كل شيء إنّما يتم بينهما لفهم الأشياء من حولنا، حيث لو أطلق لفظ على معنىً ما لألصق به دون وعيٍ من قائله، بحكم الوضع والاتفاق الذي وحّد بينهما، فإن حدث تغيّر في أحد الشّقين يتبعه تغيّر في الشّق الآخر، وفقا لما يمليه التّصوّر، "فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب)، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[16].

من هذا يتّضح جليا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة إنّما تتفاضل من ملاءمة معنى كل واحدة للمعاني التي تليها، وهنا تبرز **قيمة اللّفظ** في النّظم كونه وعاءً للمعنى وتابعاً له في توضيح الأفكار وبيانها، فاللّفظ يُستحسن إذا استحق المزيّة والشّرف ولو كانت المعاني هي التّابعة للألفاظ في ترتيبها لكانت المفاضلة ميزة للألفاظ ولكان من المحال أن تتغيّر المعاني والألفاظ بحالها لم تزل على ترتيبها؛ "فلما رأينا أنّ المعاني قد جاز فيها التغيُّر من غير أن تتغير الألفاظ وتزول عن أماكنها، علمنا أنّ الألفاظ هي التابعةُ، والمعاني هي المتبوعة"[17].

---

[14] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص ص 11، 12

[15] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المدني، مصر، 1992، ط3، ص49.

[16] المرجع نفسه، ص ن

[17] المرجع نفسه، ص 373.

على هذا الأساس وضّح "الجرجاني" تصوّره في كون اللّفظ لا يُعرف له موضع في التّركيب من غير معناه، لأنّ الألفاظ أوعية للمعاني وتبعٌ لها وهي تدلّ عليها في مدرج الكلام على نحو ما تدل المعاني على ألفاظها في الذّهن، إذ يقول: "لا يُتصوّر أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً نظماً، وأنّك تتوخى الترتيب في المعاني وتُعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وَقَفَوت بها آثارها، وأنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أنْ/ تستأنف فِكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدمٌ للمعاني، وتابعه لها، ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس، وعلمٌ بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق"[18].إذاً، وكما يقول (شوقي ضيف): "فصاحة الألفاظ وبلاغتها لا ترجع إلى الألفاظ بشهادة الصفات التي توصف بها، وإنّما ترجع إلى صورتها ومعرضِها الذي تتجلّى فيه، وبعبارة أخرى ترجع إلى نَظْمها وما يُطوى فيه من خصائص. ومعنى ذلك أنّ هذه الصفات ليست صفات للألفاظ في أنفسها، وإنّما هي صفات عارضة لها في التأليف والصياغة بسبب دقائق بلاغية لم تكن لها قبل سياقها الذي أخذته في صُور نظمها" **(ضيف، صفحة 164)**. فقد "حاول عبد القاهر إرساء مفهوم تعلّق الكلمات ببعضها البعض." **(ناصف، ع3، 1981، صفحة 34)**

لعلّ ممعن النظر في تلك الدراسات، يلحظ أنّ الكلمة فهي ركيزة أبحاثهم وتحليلاتهم،ومن هذه القواعد اللغوية الدقيقة، ساهم البلاغيون في توسيع التفكير الغوي، إذ أخرجوا الدراسات اللغوي إلى الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، وأنّ كل ما يقال يخضع لمقام معيّن فلكلّ مقام مقال ينبغي الأخذ بمعطياته، فيقول الجاحظ على سبيل المثال" مدار الأمر على البيان والتبيُّن، وعلى الإفهام والفهم" (الجاحظ، ج1، صفحة 11). وببحثنا أكثر في الدراسات النّصية العربية نجد أنّ منبثقها كان النّص القرآني، حيث جعلوا بحوثهم أساسا لدراسته، فقد قدّم علماء العربية القدامى جهودا مفيدة في مجال الدراسات اللغوية النّصيّة فبدؤوا البحث انطلاقا من التحوّل الفكري والثّقافي الذي أحدثه نزول القرآن، وشعورا بمعجزة بنائه من جميع المستويات. فاهتموا بفن القول وفن التعبير وهو من أوجه الإعجاز، كما بحث "عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وتبيّن كيف تتبع الألفاظ لمعانيها في ترتيب الكلام، فالبِنية في النهاية لن تُكشف إلاّ باستيفاء جميع أجزائها وما تضمه من معان تدور حول المعنى الجامع لها.

وهنا كما يوجّهنا "بن ظافر الشهري": "قد يلتبس، عند هذا الحدّ، مصطلح السياق بمصطلح المقام، وهذا الالتباس ممتد بين زمنين وثقافتين، فقد شاع المقام عند العرب قديما عندما استعملوه في الدّراسات البلاغية، في حين استعمل كثير من المحدثين، خصوصا الغربيين مصطلح السياق، وإذا نظرنا إلى كلّ منهما،

[18] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ص53، 54.

فإنّنا قد نجد فروقا بين ما كان يقصده البلاغيون العرب، وما يقصده التداوليون في البحث اللغوي الحديث"[19]، يبدو جليا من هذا القول أنّ مصطلح السياق والمقام مرتبطان بالاستعمال الزّمني بين الدّرس اللغوي الحديث بالنسبة للأوّل والدرس اللغوي القديم بالنّسبة للثاني.

خاتمة

قد تنوّعت جهود علماء العربية القدامى في دراسة السياق، ومن أبرز من عكف عليه أيضا هم المفسرون الذين ربطوا المهمّة بسياق التنزيل والمناسبة والتفسير الموضوعي فقد تميّزوا أيضا بأسلوب خاص في الدراسات السياقية زوّدوا بها البحوث العربية أكثر، وذلك باتباعهم نمط البحث عن التفسير لأجل فهم النّص ضمن سياقه، أي نص القرآن الكريم

بناء على هذا، أعطى علماء العربية القدامى للسياق الخارجي أهمية كبيرة من أجل تفسير الظواهر اللغوية تفسيرا يرتبط بالبيئة المنتجة، إذ نجد المفسرين على سبيل المثال يربطون عملهم بسياق التنزيل ومختلف الظروف الخارجية المرتبطة بالنّص القرآني، وهو عمل يعد امتدادا للبحث في المناسبة والتفسير الموضوعي الذي من خلال يكون القرآن الكريم وحدة لغوية دلالية متسقة ومنسجمة، حيث التفتوا إلى السياق بنوعيه: الداخلي والخارجي، بناء على دوره في شرح وتفسير والوصول إلى المعنى المراد والمقصد الذي يتبع ذلك، وهنا نجد أنّ العمل التفسيري أيضا قد كان سياقيا أيضا.

[19] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص41.